

كتب قداسة البابا شنودة الثالث



www.st-mgalx.com



كلمات السيد المسيح على الصليب

من محاضرات
صاحب القداسة
البابا شنودة الثالث



كَلِمَاتُ السَّيِّدِ ارْتِجْ عَلَى الصَّالِبِ

من محاضرات
صاحب القداسة
البابا شنودة الثالث

أبريل ١٩٧٥
برموده ١٦٩١



صاحب القداسة
البابا شنودة الثالث
بابا الاسكندرية وبطريك الكرازة المرقسية

X كلمات المسيح على الصليب X

- ١ — يا أبتاه اغفر لهم ، لأنهم لا يدرون ماذا يفعلون ١٢
- ٢ — اليوم تكون معي في الفردوس ٢٣
- ٣ — هو ذا إبنك . . هو ذا أملك ٣٧
- ٤ — إلهي إلهي لماذا تركتني ٤٢
- ٥ — أنا عطشان ٤٨
- ٦ — قد أكمل ٥١
- ٧ — يا أبتاه ، في يدك أستودع روحي ٥٥
- فاعلية هذه الكلمات ٥٩

مقدمة

إنها سبع كلمات ، لفظ بها الرب على الصليب ، في آلامه ...
وكانت كلها حياة .. لنا .

لم يتكلم أثناء المحاكمات ، ولا أثناء التعذيب والاستهزاء إلا نادراً .
كان يغلب عليه الصمت ... لقد تنازل عن حقه الخاص ، وكرامته
الخاصة . ، فالمحبة لا تطلب ما لنفسها ، (١ كو ١٣ : ٥) .

أما على الصليب ، فتكلم ، حين وجب الكلام . تكلم من أجلنا ،
لنفعنا وخلصنا . وكان لكل كلمة هدف ومعنى . ولكل كلمة تأثير ..
وسندخل في أعماق كل هذا بعد حين .. على أننا نلاحظ على كلماته
بوجه عام عدة ملاحظات ، منها :

نلاحظ في كلمات المسيح على الصليب عنصر العطاء .. عجيب أنه
— وهو على الصليب — في مظهر الضعف والانحزام كان يعطي ...
أعطى لصالبيه المغفرة ، وأعطى للص اليمين الفردوس ، وأعطى للعدراء
ابناً روحياً ورعاية واهتماماً ، وأعطى ليوحنا الحبيب بركة العذراء في
بيته . . . وأعطى للآب ثمن العدل الإلهي الذي يتطلبه ، وأعطى للبشرية
كفارة وفداء ... وأعطانا أيضاً اطعمتنا على تمام عمل الخلاص ...
أعطى لكل أحد . وهو الذي لم يعطه أحد شيئاً ... قدم للبشر كل
هذا ، في الوقت الذي لم يقدموا له فيه سوى مرارة وغل ..

وكلمات المسيح السبع ، كان أولها وآخرها موجها إلى الآب .
كانت أول كلمة موجّهة إلى الآب في قوله « يا أبتاه ، اغفر لهم » .
وآخر كلمة موجّهة إلى الله الآب في قوله « يا أبتاه في يديك أستودع
روحي » . وبين الأول والآخر كانت هناك كلمتان أيضاً موجّهتين
إلى الآب : إحداهما « إلهي إلهي لماذا تركتني » . والثانية « قد أكمل » .
ومع أنها قد تكون إعلاناً عاماً ، إلا أنها تحمل خطاباً إلى الآب أي
« العمل الذي أعطيتني لأعمله قد أكملته » ...

غالبية كلمات المسيح إذن أو نصفها ، كانت موجّهة إلى الآب .
وكانت تحمل طمأنينة للبشر .

ونلاحظ أنه في كلامه مع الآب استعمل التعبيرين : « يا أبتاه »
و « إلهي » : في عبارة « يا أبتاه » ، رد على الذين كانوا يتحدثونه قائلين
« إن كنت ابن الله ... إنزل من على الصليب » . فأثبت أنه ابن الله .
ولكنه لم ينزل من على الصليب ، وإنما رفع الصليب إلى علو السماء ...

في عبارة يا أبتاه أثبت لاهوته ، وفي عبارة « إلهي » أثبت ناسوته .
ومن كليهما معاً أعلن أنه الإله المتأنس ، الله الذي ظهر في الجسد
(١ تي ٣ : ١٦) . في عبارة « يا أبتاه » شجب الهرطقة الأريوسية التي
أنكرت لاهوته في القرن الرابع . وفي عبارة « إلهي » ، شجب هرطقة
أوطيخا الذي أنكر ناسوت المسيح في القرن الخامس ... في الأولى
تكلم كابن الله ، وفي الثانية تكلم كابن الإنسان ، كنائب عن البشر ...

ولم يتكلم على الصليب مع الآب فقط ، وإنما مع البشر أيضاً ...
مع القديسين مثلين في السيدة العذراء وفي يوحنا الرسول ... ومع
الأشرار التائبين مثلين في الملص التين ...

وكانت كلماته كلمات بركة ونعمة ... لقد كانت ساعة للخلاص .
وكانت تليق بها البركة . لذلك تكلم بكلام المغفرة والخلص والفردوس ،
وبكلام أخيه والنعمة .. وعلى الصليب لم يلعن أحداً ، ولم يعاقب أحداً .
على الرغم من كل الذي وقع عليه ... إنه لم يأت ليهلك العالم ، بل
ليخلص العالم .

ونلاحظ في كلماته على الصليب ترتيباً خاصاً لا تخفى حكمته ...
غيره أولاً ثم نفسه . ونفسه من أجل غيره . بدأ أولاً بطلب المغفرة
للناس . لأنه على الصليب بدأت فاعلية دمه المقدس في الغفران ... وإذا
فتح باب المغفرة ، جاءت الكلمة الثانية الخاصة بفتح الفردوس . لأنه
إذا دفع الدم ثمناً للمغفرة يمكن فتح الفردوس ...

نلاحظ أيضاً أن السيد المسيح ذكر أعداءه أولاً ثم أحبائه . كلامه
الأول خاص بصاليبيه ، ثم بالملص ، ثم بالعذراء ويوحنا ...

وفي حديثه مع الله الآب ، كله أولاً كأب ثم كإله ... أولاً كالأبن
المحبوب الكائن في حضن الآب منذ الأزل (يو ١ : ١٨) ، ثم كابن
الإنسان المولود في ملأ الزمان ...

**كلماته الثلاث الأولى كانت خاصة بالمغفرة والرعاية . وكلماته
الأربع الأخيرة كانت إعلاناً لعمل الفداء وإقامة :**

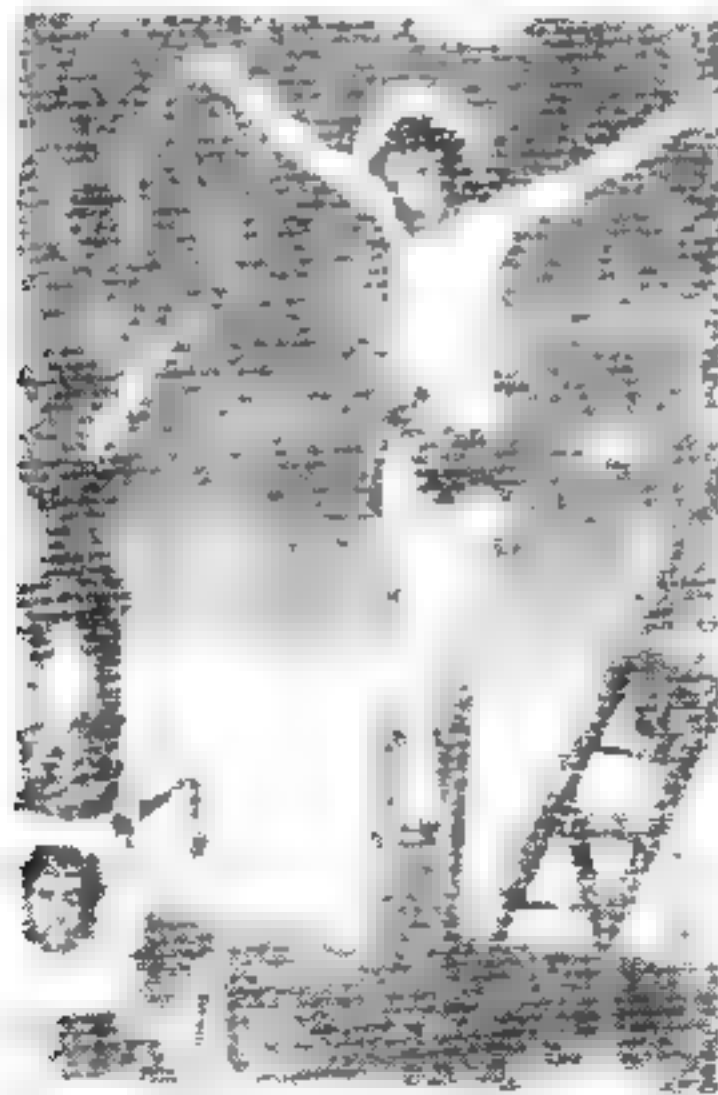
فعبارة : إلهي إلهي لماذا تركني ، تعني أن الآب قد تركه ليدفع
ثمن الفداء وتعني آلامه النفسية من جهة تحمل غضب الله على خطايا
البشر . وعبارة : أنا عطشان ، تعني إعلاناً للآلام الجسدية من أجل
البشر . وكلا العبارتين تعنيان أنه يدفع الثمن . وعبارة : قد أكل ، فيها
طمأنينة للإنسان أن الثمن قد دفع . وعبارة : في يديك أستودع روحي ،
تعني الموت ثمن الخطية ، وبه يكون قد تم الخلاص ... إذن فهذه
العبارات الأربع الأخيرة تحمل طمأنينة للبشر من جهة فدائهم ...

ونلاحظ أن الكائنين الأخيرتين فيهما هدف الفرح والانتصار ...

كما أعلن الرب أمله الذي به تم الفداء . أعلن أيضاً فرحه بإتمام الفداء .
فعبارة : قد أكل ، تحمل معنى أن كل شيء خاص بالفداء قد تم .
لقد فرح الرب بإتمام عمله ولم يسمع لشيء أن يعوقه . ونفس الكلام
نقوله عن عبارة : في يديك أستودع روحي ، . بهاتين العبارتين أعلن
هزيمة الشيطان . لقد انتهت المعركة . واستطاع الرب بالموت أن يبيد
سلطان الموت ... وهدف هتاف الفرح والانتصار .

**كل هذا يعطينا فكرة أن المسيح على الصليب ، كان يعمل ، لاجلنا ...
ليس فقط عمل الفداء . وإنما كان على الصليب - كعبد - يصنع خيراً ...**

كان معلما ، وكان يعلن إعلانات هامة لأجل الخلاص ...
 في كلمته الأولى أعطانا تعالما عمليا عن التسامح والمغفرة ومحبة
 الأعداء ... وفي كلمته الأخيرة ، في يديك أستودع روحي ، ، أعطاه
 تعالما عن خلود النفس ، وانتقال الروح البارة بعد الموت إلى الله .
 وفي كلمته الثالثة أعطانا تعالما عن الرعاية الحقة ، وعن التنفيذ الصادق
 "عني ليوصية الخمسة ... بإكرامه لأمه .
 ما أكثر التعاليم والأملات التي نَجدها في هذه الكلمات السبع ،
 التي يرمز عردها إلى الكمال ... لننقل الآن إليها ... وندخل إلى
 أعماقها واحدة فواحدة .



الكلمة الأولى
يَا أَبَتَاهُ اغْفِرْ لَهُمْ
 لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون (لوقا ٢٣: ٣٢)

المسيح الهنا الخنون - وهو في عمق الآلام على الصليب - كان منشغلاً
 بغيره لا بنفسه . مريد - كبر آلامه ولا تبعه ولا جراحاته . لم يأبه لآلام
 الشيطان عن ظهره . ولا لمارسكار المسامير في يديه وقدميه . ولا بوجع
 الشوك في حبيبه ورأسه . ولا بحسره المرضض المهيك ... وإنما ترك
 كل ذلك جانباً . وكان كل ما يسعه هو محبة للبشر وأول ما فكر
 وفكر في إبتدأ كارمية وصلبيه ... وهكذا كانت أول كلمة قالها على
 الصليب هي : «أبتاه اغفر لهم» لأنهم لا يدرون ماذا يشعرون ،
 (لوقا ٢٣ : ٣٤) ...

وقد اهتم الرب بأعدائه أولاً . قبل أحبائه وقبل نفسه ...
 وغفر أولاً لصليبه ثم غفر للصل الذي عبره أولاً وآمن خيراً . ثم أسمى
 اهتمامه بأمه . وبعد كل ذلك تكلم عن نفسه ..

«أبتاه اغفر لهم» قالها وهو في منتهى الآلام الجسدية ... كان حقيقاً
 في عمق المتألمة من هؤلاء الذين يطلب لهم الغفران ... ولكن محبته هم ،
 كانت أكبر من عداوتهم له ، عداوتهم التي لا توصف ، من عمق
 لشاعتهم ...

ومع ذلك لم يطلب لهم الغفران فقط ، وإنما أيضا انفسهم لهم عذرا ! هؤلاء الذين كانوا لا يحسرون أن يفكروا في عذر لا يفسد لهم ، والذين صاحروا في جرأة مخوفة ودمه علينا وعلى أولادنا ، (متى ٢٧ : ١٥) . هؤلاء استطاع المصلوب الخروج منهم أن يوجد لهم عذرا . فقال ولأنهم لا يدرون ماذا يفعلون ، ... ما أنحى الرب في محبته : به لم يحسب عليهم الذنات ، ولم يطلب القصة منهم . بل أيضا لم يسمت ويأخذ منهم موقفا سلبيا ... وإنما كان حبه إيجابيا من صحتهم ، وطلب لهم المعصرة ، وقدم عنهم عذرا ، مدافعا عنهم أمام الآب الابن ، معذرا أن خطيئتهم هي مجرد خطية جهل ...

إذا نحن نذكر نقول أن فعلهم من مجموعة من الخطايا البشعة ... أنهم خطايا حسد وغيرة وكرهية وفساد ورفعة من الرؤساء الذين ، وخطايا اندفاع وذكرا أن جميع من الشعب الواحد ، وخطايا قسوة واستهزاء وشتم واعتداء وإهانة من أخذ وخدام الكهنة ، وخطايا حين وطء ولا مبالاة من يلاصق ، وفوق كل ذلك هي خطية قتل ، وخطية تعذيب ، وخطايا كذب وتلميق في التحاكمة ... أما المصلوب الحنون الطيب فم يذكر سوى أنها خطية جهل ، ولأنهم لا يدرون ماذا يفعلون ، ... ما أنحى عليه قلبك أيها المحبوب المصوب إن أعماق دمه الطيبة هي فوق إدراكنا ...

إن السيد المسيح في غفرانه لصاليبه ، قد قدم مثالا عظيما لتنفيذ وصاياه ، لقد قال من قبل : أحبوا أعداءكم ، ... أحسنوا إلى مبغضكم ، وصلوا

لأجل الذين يسيثون إليكم ، . وها هو ذا يتقذ بنفسه ما سبق أن أوصى به الناس . أن الرب لا يعطى وصايا للآخرين ، ولا ينفذها بنفسه . لقد نفذ هذه الوصية « محبة الأعداء » ، ونفذها عملياً ، فى عمق وفى مثالية عجبية ... فغفر لصالبيه ومضطهديه والسيثين إليه ...

وانت ايها الأخ المبارك ، ما هو موقفك من هذه الآية « يا ابتاه اغفر لهم » ؟ ... يا ليتك عندما تسمع هذه العبارة فى يوم الجمعة الكبيرة ، وعندما تتذكرها فى أى وقت ، تقول فى صدق : « وأنا أيضاً يارب ، سأفعل مثلك : كل الذين أبغضونى وأغضبونى ، كل الذين أتعبونى واضطهدونى ، كل الذين ضايقونى وأساءوا الى ، اغفر لهم لأنهم لا يدرون ماذا يفعلون » ... وهكذا يا أخى تشترك مع المسيح فى عمله وفى حبه ...

ماذا تستفيد أنت ان كان المسيح قد غفر لأعدائه وانت لم تغفر؟!
ماذا تستفيد ان كان المسيح قد أحب أعدائه بينما أنت لا تحب أعداءك ، ولا تسامحهم ؟ ماذا تستفيد ... إذن فأنت لم تشترك مع المسيح فى عمله ، ولم تسلك فى صفاته ...

اعلم إذن ان المسيح قد غفر لنا ، لكى تغفر نحن أيضاً لغيرنا ، ونتمتع ببركة المغفرة . التى تأتى إلينا ، والتى تصدر منا ...
كلما نتذكر اساءات الناس إلينا ، فنقل نحن أيضاً من أعماق أعماقنا « اغفر لهم ، لأنهم لا يدرون ماذا يفعلون » . غير أننا عندما نقول هذا ، يختلف موقفنا عن موقف السيد المسيح : انه يقول : **يا ابتاه اغفر لهم ،**

لأنى قد دفعت ثمن خطيئتهم . من أجل هذا لم يبق عليهم دين . أنا قد وفيت العدل الإلهى ، وسددت كل ديونهم فاغفر لهم إذن . هو ذا أنا أموت عنهم . هو ذا أنا أموت عن الذين صلبونى ، وعن الذى يحبونى ... وعندما أقول « اغفر لهم » لست أقصد هؤلاء فقط ، وإنما كل الذين يحتمون فى دى ... كل الخطاة الذين تابوا من آدم إلى آخر الدهور ... اغفر لهم ، لأنى لهذا جنت (يو ١٢ : ٢٧) ...

واحد من هؤلاء الذين انطبقت عليهم عبارة « لا يدرون ماذا يفعلون » ، هو القديس العظيم الأنبا لونغينوس الجندى الذى طعن المسيح بالحربة ... هذا القديس تعبد له الكنيّة المقدسة فى يومين : فى اليوم الثالث والعشرين من شهر أبيب ، وفى اليوم الخامس من شهر هاتور ... أنه طعن المسيح بالحربة ، ولم يكن يدرى ماذا يفعل ، فغفر الرب له . ولم يكتف بهذا ، بل اقتاده إليه أيضاً ، فأمن وبشر بالمسيحية فى بلاد كبادوكية ، ونال أكليّ الشهادة على يد عياريوس قيصر ، وأظهر الرب كرامته بمعجزات بعد موته . . .

هناك قديس آخر تنطبق عليه عبارة « لا يدرون ماذا يفعلون » ، كان وحشاً ضارياً فى محاربة المسيحيين وفى تعذيبهم وقتلهم . إن قلنا إن أكثر انسان اضطهد المسيحيين هو الامبراطور ديوقديانوس ، فإن هذا كان الساعد الأيمن لديوقديانوس فى عملية التعذيب ... كان جباراً مرعباً ، ولم يوجد فى كل ولاية الامبراطورية الرومانية من دو أشد منه وأعنف ... كانوا يرسلون إليه كل من يتعب الولاية فى تعذيبه

من المسيحيين ، فيعامله بقسوة وبفتون جديدة في التعذيب لا يعرف
للمرحمة اسماً ولا معنى ...

**هذا الرجل هو القديس اريانوس والى انصنا (*) الذى سفك دماء
عشرات الآلاف من المسيحيين ، بل قتلهم في وحشية ، وهو لا يدري
ماذا يفعل ... وظل هكذا لا يدري حتى جذبه المسيح إليه ، فأمن به ،
واستشهد على اسمه في اليوم الثامن من شهر برمات على يد الامبراطور
ديوقليانوس وكتب اسمه في المنكسار ، وأصبحت الكنيسة تحتفل بعيد
مثل باقى القديسين العظماء ...**

**شاول الطرسوسى كان ايضا واحداً من الذين لا يدرون ماذا يفعلون ...
كان يقتحم الكنائس ويقتاد رجالاً ونساءً إلى السجن (أع ٨ : ٣) ..
وقد اشترك في اضطهاد القديس استيفانوس رئيس الشمامسة وأول الشهداء
(أع ٧ : ٥٨) ... وكان مرعباً ومخيفاً . . ومع ذلك لم يكن يدري
ماذا يفعل ... وظل هكذا حتى ظهر له رب المجد في لطريق إلى دمشق ،
ووجده اناءاً مختاراً . . واجتذبه إليه فأمن ، واعتمد ، وصار اسمه
بولس الرسول ، وبشر باسم المسيح ، وتعب أكثر من جميع الرسل ،
ووقعت عليه اضطهادات وأتعاب أكثر من جميعهم ، ونال أكليل الشهادة
على يد الامبراطور نيرون ، وأصبح عموداً من أعمدة المسيحية ، ومنارة
من مناراتها العالية المضيئة ... ترى ماذا كان سينتهى إليه مصير قديسنا**

(*) هى حالياً قرية الشيخ عبادة مركز ملوى بمحافظة ملنا .

بولس ، لولا قول المسيح الخنون « يا ابتاه اغفر لهم ، لأنهم لا يدرون
ماذا يفعلون » ...

« يا ابتاه اغفر لهم » . أنا لا أريد أن أقتحم من أحد ... لا أريد
أن أعاملهم بالمثل . إن بعضاً من هؤلاء الذين صلبوني أنا ماضى لأعد لهم
مكاناً . ومتى أعددت لهم مكاناً ، آتى وآخذهم إلى ، حتى حيث أكون
أنا يكونون هم أيضاً (يو ١٤ : ٣) .

على أن قول السيد المسيح « يا ابتاه اغفر لهم » ، لا تعنى أنه غفر
لجميع صالبيه على الإطلاق ، بلا استثناء ... فلا يمكن أن يتمتع بالمغفرة -
من صالبيه وغير صالبيه ، إلا من ينطبق عليهم شرطان جوهريان ، هما
الإيمان والتوبة ... لأنه بدون الإيمان والتوبة ، لا يمكن أن ينال أحد
خلاصاً ولا مغفرة ...

يا ابتاه اغفر لهم . للذين يؤمنون ويتوبون .

لقد قال الكتاب « هكذا أحب الله العالم ، حتى بذل ابنه الوحيد ...
أحب العالم كله ، وبذل الابن لأجل العالم كله . ولكن هل تمتع العالم
كله بالخلاص ؟ كلا ، فخلاص المسيح لم ينله إلا « كل من يؤمن به » ...
لذلك قيل في باقى الآية « لكي لا يهلك كل من يؤمن به ، بل تكون له
الحياة الأبدية » (يو ٣ : ١٦) . هذا هو شرط الإيمان ... أما عن
شرط التوبة فيقول عنه الرب « إن لم تتوبوا جميعكم كذلك تهلكون ،
(لو ١٣ : ٣) .

وهكذا فإن عبارة « اغفر لهم » ، لا تعنى المغفرة ليهود اليوم ...
لأنهم ما يزالون باقين على يهوديتهم ، فى إنكارهم للمسيح ، وفى إنكارهم
لبتولية العذراء ، وفى اعتقادهم أن يسوع الناصرى الذى ولد منذ ١٩٧٥
سنة كان ضالاً ومضللاً ، فاستحق أن يصلبه آباؤهم . وبهذا يشتركون فى
خطية آباؤهم بموافقتهم لهم على ما فعلوه ... ويستحقون الدينونة .
أما إن تابوا وآمنوا ، وصاروا مسيحيين ، فإن الرب يغفر لهم ،
وعندئذ لا يدعون يهوداً بعد ...

إن السيد المسيح قد قدم خلاصاً للعالم كله . ولكن لا يتمتع بهذا
الخلاص سوى المؤمنين التائبين السائرين فى طريقه . المتمتعين بعمل الروح
القدس فى أسرارهم .

هؤلاء المؤمنون التائبون ، اغفر لهم يا أبتاه ... أما الباقون الذين
أصروا على عنادهم ، فهؤلاء قال لهم المسيح « حيث أكون أنا ، لا تقدرُونَ
أنتم أن تأتوا » (يو ٧ : ٢٤) . وقال لهم أيضاً « ستطلبوننى وتموتون
فى خطيئكم ... إن لم تؤمنوا بى أنا هو ، تموتون فى خطاياكم ، ...
ثلاث مرات فى الإصحاح الثامن من الانجيل لمعلننا يوحنا الرسول يقول
لهم « ان لم تؤمنوا بى ، تموتون فى خطاياكم » (يو ٨ : ٢١ ، ٢٤) .
أما الذين فيهم بارقة أمل ، ولو من بعيد ، فهؤلاء مهما أخطأوا إليه
ومهما اضطهدوه ، ومهما طردوه ، فإنه يظل يردد فى سمع الآب ، تلك
العبارة الجميلة « يا أبتاه اغفر لهم ، لأنهم لا يدرون ماذا يفعلون » .

من بين هؤلاء الذين طردوه ورفضوا أن يدخل تخومهم، أهل السامرة.
وتحمس تلميذاه يعقوب ويوحنا، وطلبوا إليه أن يأمر فتزل نار من
السماء فتفنى هؤلاء الذين طردوه. أما هو فأجاب تلميذه قائلاً: «لستما
تعلمان من أى روح أتيا. لأن ابن الإنسان لم يأت ليهلك أنفس الناس
بل ليخلص» (لو ٩ : ٥٢ - ٥٦). هذا ما قاله لتلميذه. أما للآب.
فلا شك أنه قال نفس العبارة «يا أبتاه اغفر لهم» لأنهم لا يدرون ماذا
يفعلون... وهكذا صبر عليهم حتى عرفوه، فأحبوه، وآمنوا به
(يو ٤ : ٤٢).

إن عبارة «يا أبتاه اغفر لهم» تحمل عمق الحب، وعمق المغفرة.
ولكى تسبر أعماقها، تصور ما بالنسبة إلى نفسك...
قد تستطيع أن تغفر لإنسان أتعبك... أما أن يلفق إنسان حولك
تهماً، ويحكم عليك ظلماً. ويشير عليك الشعب والحكام، ويهزأ بك،
ويجلدك، ويعلقك على صليب، ويدق المسامير في يديك وقدميك...
ثم بعد ذلك - وأنت في عمق الألم - تستطيع أن تغفر له، وتصلي لأجله،
وتدافع عنه... فهذا يحتاج إلى حب فوق الطاقة، وفوق العادة...

كثيرون آمنوا بالمسيحية من أجل هذه العبارة وحدها...
يا أبتاه اغفر لهم... لأنني من أجل هذا جئت... هذا هو العزاء

الذى يفرح قلبي وسط كل آلام الصليب ، وكل آلام الهزم ، وكل
آلام التخلي ...

لأنهم مغلوبون من خطاياهم ، مغلوبون من عمل إبليس فيهم ،
ومغلوبون أيضاً من ضعف إرادتهم ومن جهلهم شعوري نحوهم ، هو
شعور إشفاق .. لست أذكر ما يعملونه في ، فالمحبة لا تطلب ما لنفسها ،
إنما أذكر أمامك حاجتهم إلى المغفرة ...

اغفر لهم ، لأنك بهذا تفرحني ، اذ أكون قد تمت رسالتي
وحققت هدفي ...

حقاً ، لماذا تجسد المسيح ؟ أليس من أجل أن الآب يغفر
لهؤلاء ؟ . لماذا أخذ شكل العبد ، وصار في الهيئة كإنسان (في ٢: ٧) ؟
أليس لكي يغفر لهم ؟ ... لماذا حمل خطايانا ؟ لماذا علق على خشبة ؟
كل هذا بلا شك لكي يغفر لهم ...

إن هذه العبارة هي بداية عهد الغفران ، ليس الغفران الموعود به ،
ولأنما الغفران المدفوع ثمنه ... إنها إعلان بأن العدل الإلهي قد استوفى
حقه على الصليب ... إنها صلح ... إنها حق المشتري الذي دفع الثمن
ويريد أن يستلم ... أنه اشترانا بدمه ، وبقي أن يأخذنا معه ، لكي
ندخل الفردوس معه ، ونتمتع بالملكوت معه ، وحيث يكون هو
نكون نحن أيضاً ...

وكأنه بهذه العبارة يقول للآب : ماذا تريد من هؤلاء ؟ ما هو دينك عليهم ؟ أليس هو الموت ، أجرة الخطية ؟ هوذا أنا أموت عنهم . هوذا أنا أوفى دينك عليهم . أطلقهم إذن من حكم الموت . إنك تأخذ الآن حقك بالتام .. وبعد قليل سأقول لك « قد أكمل » ، فاغفر لهم ...

ان السيد المسيح بهذه العبارة يعلن انتصاره على الشيطان . كل جهاد الشيطان كان في إبعاد الناس عن الله ، وفي إبعادهم عن المغفرة ، وفي عرقلة طريق الخلاص قد فتح للناس ، واستطاع الرب المجروح لأجل معاصينا أن يرش دمه على الخيمة فيقدمها ...

لقد انتصرت محبة على كراهية الآس « وانتصر تواضعه على كبرياء الشيطان ...

كانوا يقولون له إن كنت ابن الله انزل من على الصليب . أما هو فأعلن أنه الإبن بقوله « يا أبتاه » . ولكنه وهو الإبن سيبقى على الصليب ، لكي يغفر لهم . ولو نزل من على الصليب ما استطاع أن يقول ، اغفر لهم ... الآن استطاعت ذبيحة الحب أن تؤدي عملها في المغفرة ..

عبارة يا أبتاه اغفر لهم ، هي العبارة التي كان يشتمق لسماعها كل الرافدين على رجاء من بدء الخليقة كلها . إن كان هكذا قد أحب

الرب صاليه ومقاوميه وغفر لهم ، فكم تكون بالحرى محبته لأحبائه
ومريديه ، وكم يكون عمق غفرانه وسمو مكافأته . .

لأنها عبارة أذهلت كل الجنود المحيطين بالصليب . وأذهلت أيضاً
الملص اليمين الذى توجه إليه الرب بكلمته الثانية « اليوم تكون معى
فى الفردوس » ...



يا أبناء اعقر لهم

الطمة الثانية
الحق أقول لك
إنك اليوم تكون معي في الفردوس (لوقا: ٢٣: ٤٣)

أول انسان خاطبه الرب على الصليب ، كان هو هذا اللص ...
لم يبدأ حياته باراً ، بل صحبته الخطية حتى إلى الصليب . وكان وهو
مصلوب يعير الرب ، مشتركاً في ذلك مع اللص الآخر (متى ٢٧: ٤٣) .
ثم تغير فجأة ودخل الإيمان إلى قلبه ، فانقلب من معير إلى مدافع ...
ومن مستهزئ إلى رجل صلاة وإيمان .

كيف وصل الى هذا الايمان، والى هذا التجديد ؟ كيف آمن بالرب،
والرب في آلامه لا في مجده ، في استهزاء الناس به وليس في سعيه إليهم
طلباً للشفاء والبركة ؟

لعل مغفرة الرب لصالبيه ، أثرت في اللص القاسي القلب هذا التأثير
العميق . وإذا بالحرف الله يغلب قسوته . . أو لعله تأثر من وجه المسيح
نفسه ، من ملامحه ، ومن نظراته ، ومن حناؤه وعمق صوته . ولعل
الرب نظر إليه ، فأذاب قلبه ... لنأ ندرى ...

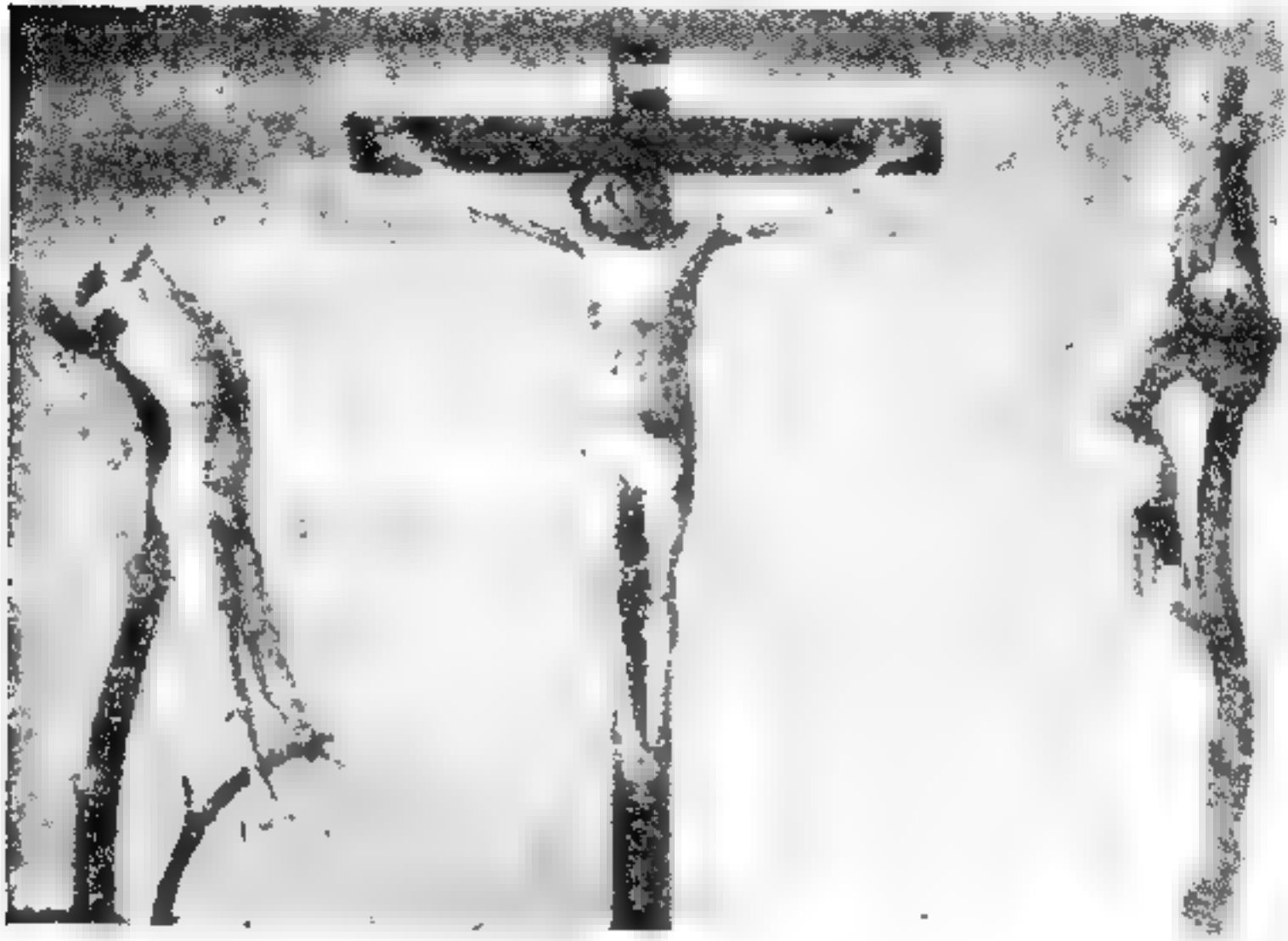
أو لعل هذا اللص كان عنده استعداد داخلي لتوبة ، كان أرضاً
صالحة لم تحدد بعد من يفلحها ، وينقيها من أشواكها ، ويبذر فيها البذار
الصالحة ، فتنبت نباتاً حسناً ...

لقد استطاع هذا اللص أن يصل إلى المسيح مع أصحاب الساعة الحادية عشرة ، أو في الساعة الثانية عشرة . **فصل صلاة ، واستجيب بأسرع ما تكون الاستجابة ...** كثيرون كانت لهم صلوات طويلة ، بابتهالات وطلبات وتضرعات وعرق ودموع ... أما هذا اللص فعبارة واحدة ، قصيرة ، مركزة عميقة ، استطاع أن يحصل على كل شيء ... وأصبحت صلاته هذه مصدر تأملات الكثيرين ، ترددها الكنيسة كلها معه ، وقد تعلمتها من هذا اللص العجيب ...

هذا اللص الوحيد الذي أجابه المسيح بسرعة ، بينما غيره كثيرون لم يرد عليهم الرب بكلمة واحدة ...

تصوروا أن السيد المسيح لم يرد على كثيرين طول مدة المحاكمة والتعذيب والصلب ... لم يفتح فاه ، كشاة تساق إلى الذبح . وكنعجة صامته أمام جازيها ، فلم يفتح فاه ، (أش ٥٣ : ٧) ... لم يرد على قيافا رئيس الكهنة إلا بعد أن استخلفه بالله الحي (متى ٢٦ : ٦٣ ، ٦٤) . وبيلاطس الوالي الذي حاكمه كان متعجباً جداً من صمته (متى ٢٨ : ١٤) . كثيرون استهزأوا به ، فلم يرد عليهم . شتموه ، فلم يرد عليهم . تحدوه وقالوا له : إن كنت ابن الله أنزل من على الصليب ، (متى ٢٧ : ٤٠) فلم يرد عليهم كذلك . اللص اليسار نفسه المصلوب إلى جواره كان يعيره ويتحدهاء قائلاً : إن كنت أنت المسيح ، خلص نفسك وإيانا ، (لو ٢٣ : ٣٩) . فلم يرد على هذا أيضاً .

أما هذا اللص اليمين فما أن قال له ، أذكرني يا رب متى جئت
في ملكوتك ، حتى تلقى الجواب بسرعة ، الحق أقول لك أنك اليوم
تكون معي في الفردوس ، (لو ٢٣ : ٤٢ - ٤٣) .



ما أعجب صحبة الرب لهذا اللص ! كان زميلاً على الصليب ، وزميلاً
صالحاً !! وبلغت الصحبة مداها ، أن الرب لم يكتف بصحبته له على
الصليب ، وإنما قرر أن تستمر الصحبة أيضاً في الفردوس ! كان يستطيع
أن يعده قائلاً : اليوم تكون في الفردوس ، ولكنه قال له : تكون
معي ، . يدخل في معيته ، وحيثما يكون الرب يكون معه أيضاً ...

ما أسعده لصاً ... لم يأنف الرب من هذا اللص ، ولم يشمتز ، بل على العكس وجد فيه قلباً مملوءاً بالفضائل . فبادله الحديث على خشبة الصليب ، وفرح أن يسعد قلب هذا اللص بوعده يطمئنه على مصيره قبل أن يلقى الموت ...

ستكون معي في الفردوس ، لأن قلبك صار معي على الأرض . لأنك سلّمتني قلبك على الصليب ، وسلّمتني مصيرك ولأنك تألمت معي ، فلذلك سوف تتمجد معي أيضاً ... لقد صلبت معي ، وتألمت معي ... وستحيا معي أيضاً .

ما أعجب هذا اللقاء ... على الصليب ...

كثيرون التقوا مع الرب في الكنائس والمعابد ، وآخرون التقوا به في مخادعهم المغلقة عليهم ساعة الصلاة ... أما أن يكون مكان اللقاء على الصليب ، فهذا عجيب حقاً . هل كان هذا اللص يفكر إنه إذا تاب في يوم ما ، والتقى بالرب يكون لقاءه به في مثل هذا الموضع ... !!!

حقاً إن « ملكوت الله لا يأتي بمراقبة » (لو ١٧ : ٢٠) .. لا نستطيع أن نعرف متى تعمل النعمة في الإنسان ، وكيف ، ومتى ... حقاً إن الروح يهب حيث يشاء (يو ٣ : ٨) ... لقد عاش هذا اللص حياته كلها في الخطية ، ولصقت به الخطية حتى على الصليب عندما كان يعير الرب مع زميله ... فهل معنى هذا أن النعمة كانت قد حجب وجهها عنه ،

أو أن الرب قد نسيه إلى الانتضاء... ١٩ كلا ، فراحم الرب كانت
تنتظر الوقت المناسب لتعمل فيه... ثم جاء زمان افتقاده ونال الخلاص،
وهو على بعد أشبار من الموت ...

**نحن لا نعرف من هم المختارون . من كان يظن أن هذا اللص
سيصير واحدا منهم !! من كان يظن أنه في ساعة واحدة سينال ما ناله
غيره . بجهد عشرات السنوات ١٩ اتنا نحكم حسب الظاهر ، ونحتقر
البعض ، ونرثى للبعض ، وربما يكونون أفضل منا بمراحل . . . ومع
ذلك نقول في صدق أن هذا اللص ، قد دخل الفردوس عن جدارة
واستحقاق .**

**لقد كان عجبيا ، وعجبيا جدا ، في كل ما فعله ...
اعترف بالمسيح ربنا ، فقال له : اذكرني يا رب ، .
واعترف به ملكا ، فقال له : متى جئت في ملكوتك ، .
واعترف به مخلصا ، قادرا أن ينقله إلى الفردوس .
وعلى الصليب اعترف هذا اللص بخطايا الشخصيه ، واعترف
باستحقاقه للموت . ووبخ زميله اللص الآخر قائلا له : أما نحن فيبدل
(جوزينا) ، لآتنا نال استحقاق ما فعلنا .**

**وانتهز زميله بسبب تجديفه على السيد المسيح قائلا له : أو لا تخاف
الله إذ أنت تحت هذا الحكم بعينه ... وأما هذا فلم يفعل شيئا ليس في**

محلّه ، (لو ٢٣ : ٤٠ - ٤١) . وهكذا اعترف ببر المسيح وخلوه من الخطية ، وبالتالي لا يكون قد صلب بسبب خطية له ، وبالأستنتاج يكون صلبه عن خطية غيره ...

عجيب هذا حقا ، أن يكون الوحيد الذى دافع عن السيد المسيح وسط تلك الآلاف هو اللص اليمين !! لم يدافع عنه واحد من الإثنى عشر . لم يدافع عنه واحد من التلاميذ السبعين . لم يدافع عنه واحد من الذين شفاهم أو أقام موتاهم أو أخرج منهم الشياطين ... لم يدافع عنه أحد ... اجتاز المعصرة وحده . والوحيد الذى دافع عنه ، ولم يقبل كلمة إساءة توجه إليه ، هو اللص اليمين !! من كان يظن فى جميع التلاميذ وفى جميع المؤمنين ، أن الوحيد الذى يدافع عنه هو اللص !! حقا - كما قال الرب - وانظروا ، لا تحتقروا أحد هؤلاء الصغار ، (متى ١٨ : ١٠) .

فلا تظن فى نفسك يا أخى أنك شيء ، أو أنك افضل من أمثال هؤلاء ... لا تظن فى نفسك أنك كأحد الرسل أو أحد الاحياء أو المريرين أو القريبين من الرب ... فقد سكت كل هؤلاء ، لم يدافع واحد منهم عن المسيح ، والذى دافع عنه هو لص لم يكن يتوقعه أحد ، ولم يكن يسمع به أحد ...

والجميل فى هذا اللص - غير دفاعه عن المسيح - انه كان متغفلا ابدية . كان مهتما بإعداد العدة لمصيره الأبدى . هو أيضاً لم يكن

يفكر في آلامه الجسدية ، وإنما في مصيره بعد الموت . لذلك صرح في استرحام وفي استغفار : « أذكرني يا رب » أذكرني في مراحلك ، وليس في خطاي . أو كما قال داود النبي : « أذكر يا رب مراحلك ورأفاتك فإنها ثابتة منذ الأزل . خطايا شبابي وجهالاتي لا تذكر . كرحمتك أذكرني أنت ، من أجل جودك يا رب » ، (مز ٢٥ : ٦ و ٧) .

« أذكرني » ، ولا تدخلني في زمرة أولئك الذين قلت لهم : « إني لم أعرفكم قط » .. أذكر هذا الجوار ... انها ساعات خالدة في حياتي ، تلك التي قضيتها الى جوارك على الصليب . انها أسعد ساعات حياتي ، أتمتع بشركة آلامك ، وأفتخر بأنني « مع المسيح صلبت » ، (غل ٢ : ٢٠) . فمن أجل هذا الجوار أذكرني . لقد كان صليبي إلى جوارك عاراً لك ، ولكنه فخر أبدي لي . تكفيني هذه الساعات السعيدة معك ، ولكنني أريد أن أعتبرها كجرد عربون ...

إن عبارة « أذكرني » التي أقولها لك ، تعني وجود علاقة سابقة . تعني أنني معروف عندك ، ومكتوب في سفرك ، ومنقوش على كفك . لقد أحصيت مع أئمة (اش ٥٣ : ١٢) ، وصلبت مع الخطاة . وإن حسب هذا عاراً لك ، لكنه نعمة لي وبركة ... ما ألد وجودي إلى جوارك ، إنه ينسيني كل آلامي فلا أشعر بها ... بل أشعر بروحك تتخلل كياني كله ، وتطهرني وتقدسني ، وتجعلني إنساناً آخر ... إنك كشعاع الشمس الذي قد يرقد إلى جوار أي جسم قدر ، فلا يتسخ منه ، بل يطهره ... أنا معتر بصحبتك ، ليتني عرفتك من قبل ... فاذكرني .

ليت كل واحد فينا يصبح مع اللص قائلاً « اذكرنى يا رب »
أذكر أنك ابنا في كورة بعيدة، وعبداً ضالاً خارج الحظيرة . أذكرنى
في ضعفى ، وفي ذلى ، وفي سبى ، أذكرنى فى سقوطى لكى تقيمنى وترد
نفسى اليك . أذكرنى لأنى واحد من الذين « ليس لهم أحد يذكرهم » .
ليس لى إنسان يلقينى فى البركة فأبرأ (يو ٥ : ٧) .

**ان قصة اللص اليمين هذه تعطينا فكرة ان ساعة الموت تختلف من
انسان الى آخر . لا تقل أنه ذكر الرب وتاب إذ كان لا بد أن يفعل
هكذا فى ساعاته الاخيرة . كلا ، فاللص الآخر كان مثله فى ساعاته الاخيرة
ومع ذلك يقول الكتاب أنه كان يحدف على المسيح ، وما كان يخاف
الله ، وما كان يهتم بمصيره الأبدى . وإنما كان كل همه أن يتخلص من
الصليب (لو ٢٣ : ٢٩) ، ليعود فيتمتع بهذا العالم ... وهكذا استحق
الانتهاز من زميله . وفى ساءء الموت : بدلا من أن يتوب عن خطايه ،
كان يرتكب خطايا جديدة ، بقسوة قلب ! ! ! . كان هذا اللص اليسار
قريباً من المسيح بالجسد ، كان إلى جواره . أما قلبه فكان مبتعداً عنه
بعيداً بما لا يقاس ، حتى فى ساعة الموت !! إن ساعة الموت لم تستطع
أن تذكره بالتوبة ، ولا أن تدفعه إلى الاستعداد ... إطلاقاً ...**

إنه لم يتأثر بمغفرة المسيح لصاليه : ولم تملكه الغيرة من أجل الوعد
الذى ناله زميله بدخول الفردوس . ولم يؤمن إذ رأى السماء ، والارض
ماجت مرتعدة ، والصخور تشققت ، والظلمة سادت على الكون . . .

بل كان منشغلاً عن أبعديته ، حتى في ساعة الموت . ما يزال يحب العالم ومعاودة المعيشة فيه... لا يريد المسيح ولا صحبته ، وإنما يحب أن يستغله كوسيلة للنزول من على الصليب . . .

انه درس قاس لكل من يؤجل التوبة ، وفي ظنة انه سيتوب في اواخر ايامه ، التي لا يعرف لها موعدا ! ! كثير من الناس يكونون في ساعة الموت مثل اللص الذي على الشمال ، يحذفون ويتذمرون ويشتهون لعالم الحاضر ! ! من كان عبداً لعادة من الصعب أن يبطئها بالتأجيل ، حتى لو دقت يداه وقدماه بالمسامير ، وكان بينه وبين الموت دقائق ! ! إذا لم يتعاون الإنسان مع عمل النعمة في قلبه ساعة الموت ، فمن الممكن أن يخطيء في تلك الساعة أيضاً .

كثيرون في ساعة الموت يكون بدموع ... ليس بكاء على خطاياهم ، وإنما لأن الموت سيعرهم من ملاذ الحياة ! ! يكون لأن الموت سيفصلهم عن أحبائهم وعن شهواتهم ... ما يزال العالم حلواً في قلوبهم ، حتى في ساعة الموت . . . لا تظنوا أن الموت - بالضرورة - يجلب للإنسان خشوعاً . . . ليس لكل الناس . إن اللص اليمين استفاد من ساعة الموت ، واللص اليسار لم يستفد ... وبينما كان اللص اليسار يحذف ويعير ، كان زميله يصلي ، ويتضرع قائلاً : أذكرني يا رب متى جئت في ملكوتك ، **والرب لم يتخل عن هذا اللص التائب . ولم يتهمل عليه وإنما كانت استجابة صلاته أسرع مما كان يتوقع . إن اللص في آخر ساعاته لم يفقد رجاءه في مراحم الرب . والرب أيضاً قوى رجاءه وأكده**

تأكيداً بقوله له : « الحق أقول لك انك اليوم تكون معي .. » . انك الآن معي ، وبعد قليل ستكون معي . ولكن شتان بين الحالين ... كما كنت معي في الآلم ستكون معي « في الفردوس » . أنت الآن تتعذب ، وهناك تعزى ...

ويقول الرب « في الفردوس » انما صصح للص خطأ وقع فيه .
وصححه له بنفس طريقة المسيح الهادئة اللطيفة . . . لقد قال الص « أذكرني يا رب متى جئت في ملكوتك » . وحسناً آمن ان للمسيح ملكوتاً روحياً في السموات ، وأن مملكته ليست من هذا العالم كما يطلب العالميون ... ولكن ملكوت السموات لا يدخله الناس الا بعد القيامة العامة ، أما بعد الموت مباشرة ، فيذهبون الى مكان الانتظار . ومكان انتظار الأبرار هو الفردوس . وهكذا لم يقل السيد للص « اليوم تكون معي في ملكوتي » ، وإنما « في الفردوس » . وبهذا باشر الرب وظيفته كعلم صالح ، حتى على الصليب ، بنفس طريقته الودية في التعليم ، شارحاً للمخطيء خطأه دون أن يقول له أنك أخطأت .

ستكون معي في الفردوس ، كعربون ... وستأتي معي على السحاب
في مجيئي الثاني . وستقف على يميني في يوم الدينونة ، كما أنت الآن عن يميني على الصليب ، رمزاً للأبرار ... وستملك أيضاً معي في ملكوتي . وتكون معي في الأبدية التي لا تنتهى ... ها أنا معك كل الأيام وإلى انقضاء الدهر ...

لعل هذا الوعد قد جعل اللص ينتظر الموت بفرح ، ليكون مع المسيح ، فذاك أفضل جداً ... هنا تقول ما ألد الموت I ، أين شوكتك يا موت ، II إن الموت مرعب للأشرار لكنه مفرح للذين يرقدون على رجاء ، للذين نالوا المواعيد ، ونظروا الأكاليل ، واطمأنوا إلى مصيرهم بعد الموت ، ورن في آذانهم قول المسيح « اليوم تكون معي في الفردوس » ...

وبقوله « تكون معي في الفردوس » ، لم يعان اللص غفران خطيئته فحسب ، وإنما أعلن أيضاً فتح باب الفردوس لأول مرة بعد خطيئة آدم . هذا الفردوس الذي كان مغلقاً منذ ذلك الزمان ، لا يستحق أحد دخوله بسبب الخطية . وهذه العبارة التي قالها الرب للص ، نتذكرها كلها نودع أنفسنا رحلت عن عالمنا . فنقول في صلاة الجنائز « افتح لها يارب باب الفردوس كما فتحت له ذلك اللص » .

إن المغفرة التي نالها اللص هي عمل الهى ، وفتح باب الفردوس هو عمل الهى أيضاً . إعلان قام بهما الرب على الصليب يشيران لاهوته . إنه لم يصل لأجل اللص للمغفرة ودخول الفردوس ، إنما قال له سلطان « اليوم تكون معي ... » . وكأنه بهذا قد باشر عمله كديان عادل من حقه أن يصدر حكماً في أبدية انسان ، فحكم للص بدخول الفردوس في نفس اليوم . من من البشر له سلطان أن يفعل هذا ؟ إنه سلطان إلهى لا يقدر عليه انسان ... كذلك فتح الفردوس : أمر لم يقو عليه أحد من قبل ، لا رئيس آباء ولا نبياً . من استطاع أن يفتح باب الفردوس المعلق ،

أو من استطاع أن يدخله ١٤ لا أحد . كلهم انتظروا حتى يأتى المخلص
فيفتح لهم . إنه عمل إلهى ... وهو أيضاً إعلان عن كفاية هذا الدم
المسفوك عنا لفتح باب الفردوس ...

حقاً انه صاحب السلطان . « يفتح ولا أحد يغلّق .

ويغلّق ولا أحد يفتح ، (رؤ ٣ : ٧) ، (اش ٢٢ : ٢٢) . هو الذى
بيده مفاتيح الهاوية والموت (رؤ ١ : ١٨) . بل بيده مفاتيح السماء
والأرض ، وبسلطانه يهبها لتلاميذه ، وكلأته على الأرض . هو الذى
فتح للعذارى الحكيمات . وإليه نضرعت الجاهلات قائلات : يا ربنا
يا ربنا ، افتح لنا ، (متى ٢٥ : ١١) . ولكنه لا يفتح مردوسه ، إلا
للذين فتحوا له قلوبهم ، كاللص اليمين الذى استحق أن يقول له : اليوم
تكون معى فى الفردوس ...

وعبارة (اليوم) تكون معى ، دليل أكيد على عدم وجود مطهر

كما يظن البعض . فاللص دخل الفردوس فى نفس يوم وفاته ، دون أن
يقضى فى هذا المسمى بالمطهر ساعة واحدة ١١ ... كما أن عبارة (اليوم)
تكون معى ، تنفى الفكرة التى بها يظن البعض أن روح الميت تظل
باقية تتردد على أما كن سكناها حتى اليوم الثالث إلى أن تصلى الكنيسة
صلاة فى اليوم الثالث لصرف تلك الروح ١٢ ... هل بقيت روح اللص
اليمين إلى اليوم الثالث ، أم فى نفس اليوم كانت فى الفردوس ١٣ ...

وبعبارة الفردوس شرح الرب مصير الانسان بعد الموت ،
وكيف أن الفردوس هو مكان الانتظار للابرار، وكيف انهم سيكونون
هناك مع المسيح يتمتعون به .

اليوم تكون (معي) . انها عذبة جميلة ان نكون مع الرب .
إن الوجود مع الرب هو أجمل من الفردوس أو هو أجمل ما في الفردوس
أو هو الفردوس ذاته ، بل هو النعيم الحقيقي ، أن توجد معه . هذا هو
ما قاله الرب ، وما وعد به ... آتى وأخذكم إلى ، حتى حيث أكون أنا
تكونون أنتم أيضاً ، (يو ١٤ : ٣) . ما أجل هذا الوعد . إنه أملنا
الذى نسعى إليه ، ونتشناه ...

إن الحياة الروحية كلها هي دمية مع الرب ، ...

بهذا الوعد ، أفرح الرب قلب اللص ، ولم تشغله آلام الصليب عن
التحدث مع هذا الانسان وطمانته واسعادته .. نسي السيد الرب آلامه
المبرحة ، نسي الشوك والمسامير وأثار الجسد وجسده المتهك ، وشغل
وقته بالأصغاء إلى هذا اللص والتحدث معه وطمأنة قلبه ... حقاً ان
« المحبة لا تطلب ما لنفسها » (١ كو ١٣ : ٥) ، بل ما هو للآخرين
(١ كو ١٠ : ٢٤) ما أكثر ما يأتى إلينا انسان فى وقت تعبنا أو
مشغوليتنا ، فتبرم به ، وتتضايق ، ونقول له « طيب يا أخى بعدين ، أنا
متر فاضى لك دلوقتى ، استنى شوية » . أما السيد المسيح فحتى على
الصليب ، لم يقل مثل هذه العبارات . وإنما على الرغم من آلامه أعطى

الحرص الاهتمام الذي يحتاج اليه ، واستجاب طلبته ، وأسعد قلبه . وأرانا أنه حتى على الصليب يمكن القيام بخدمة للآخرين . . .

وفي الاهتمام بالحرص يظهر لنا الرب أهمية العمل الفردي الى جوار العمل الجماعي . فبالإضافة إلى عمل الفداء العظيم المقدم للعالم أجمع ، لكل من يؤمن به ، وبالإضافة إلى غفرانه لصاليه ، كان له أيضاً عمل فردي مع المصلح . لأن الفرد — عند المسيح — لا يتوه وسط الجماعة ... ما تزال له قيمته ، وله اهتمامه ...

وهكذا كان السيد المسيح في كل كرازته عمل الأرض يعمل في الميدانيين معا : العمل الجماعي ، والعمل الفردي : العمل الجماعي وسط الجماهير الكثيرة ، وسط الجموع المزدحمة حواليه في عظته على الجبل ، ووسط الخمسة الآلاف الذين اشبعهم بخمسة خبزات وسمكتين . . . وله العمل الفردي وسط الاثنى عشر ، أو وسط ثلاثة منهم هم بطرس ويعقوب ويوحنا ، أو مع نيقوديموس ، أو في بيت مريم ومراثا ، أو مع امرأة السامرية عند البئر ...

إن الله لا ينسى الفرد وسط الجماعة . لا يضع فرد في زحمة الناس . لا يضع الحروف الضال في زحمة الاهتمام بالتسعة والتسعين الباقين ... لا يضع المصلح اليمين وسط الاهتمام بخلاص العالم كله .

الطمة الثالثة

هُوَذَا ابْنُكَ ... هُوَذَا أُمُّكَ (برمنا ١٩: ٢٦، ٢٧)

كان الاهتمام بالآخرين هو أول ما يشغل الرب على الصليب . فكما
اهتم بصاليبه ، وقال : يا أبتاه أغفر لهم ، وكما اهتم باللص اليمين ووعده
قائلاً : اليوم تكون معي في الفردوس ، ، اهتم أيضاً بأمه ، وعهد
برعايتها إلى تلميذه الحبيب يوحنا .

عهد بالبتول الى تلميذه البتول ...

عهد بأمه التي حملته كثيراً على صدرها ، الى تلميذه الحبيب الذي
اتكأ كثيراً على صدره .

عهد بأمه التي وقفت الى جوار صليبه ، الى تلميذه الوحيد الذي
تبعه حتى الصليب .

عهد بأمه التي حملت في داخلها جمر لاهوته ، الى تلميذه الذي
كتب انجيلاً فيما بعد ثبت فيه لاهوته .

قال لها : هذا هو ابنك ، . وقال له : هذه هي أمك ، .

ومن ذلك الحين أخذها التلميذ إلى بيته (يو ١٩ : ٢٧) .

وبهذا أعطانا الرب مثالا عن الاهتمام بالأقرباء حسب الجسد ،
وبخاصة الأم . لقد اهتم بهذا المستودع الذي حمله تسعة أشهر ، وبهذه
الأم التي اهتمت به قبلاً ، والتي عاش خاضعاً لها (لو ٢ : ٥١) .

ان الشخص في آلامه يكون موضع اهتمام الناس به . أما المسيح
في آلامه ، فكان هو المهتم بغيره ..

كم بالحري الآن وهو في راحته ، يهتم بنا بالأكثر ...

اهتمامه الأول وجهه إلى غفران الخطايا ، وبعد ذلك اهتم بالرعاية
الاجتماعية . وكانت الامم هي أولى من اهتم بها في هذه الرعاية .

لقد ظن البعض - عن سوء فهم - ان السيد الرب في تركيزه على
العلاقات الروحية ، قد أبطل الاهتمام بهذه العلاقات العائلية في قوله
" من هي أمي ، ومن هم أخوتي .. الذي يفعل مشيئة أبي الذي في
السموات هو أخي وأختي وأمي ، (متى ١٢ : ٤٨ - ٥٠) . ولكن
هذا الفهم الخاطئ ألغاه الرب على الصليب ...

إن التكريس ، والتفرغ لخدمة الرب ، والانشغال بالأسرة الكبيرة
التي هي الكنيسة الجامعة ، كل ذلك لا يعنى إهمال الإنسان لأقربائه
وخاصته ، ولا سيما أهل بيته . (١ تي ٥ : ٨) وكل ذلك لا يعنى
الإنسان من إكرام والديه أو من الاهتمام بأمه .

وكأنها كان هناك موعد بين السيد المسيح وأمه القديسة
العذراء . كان وجهها الطاهر أول وجه يراه عند مجيئه إلى هذا العالم
بالجسد ، وكان آخر وجه يراه قيل تسليمه الروح في يدي الأب ...
إنه قلب الأم المحب الذي يسعى وراء الابن أينما كان ، ويلزمه في

آلامه في حب .. ويناجيه بتلك العبارة المؤثرة « أما العالم فيفرح
لقبوله الخلاص . وأما أحشائي فتلهب بالنار عند نظري إلى صليبتك
الذي أنت صابر عليه من أجل الكل يا لمبني وإلهي ، ...

وهو أيضاً قلب الابن الذي يهتم بأمه وهو في عمق آلامه .

وهكذا وجد السيد المسيح من اللازم أن يعتنى بأمه في آلامها ،
ويقول لها كلمة تعزية بينما « يمحور في نفسها سيف (لو ٢ : ٣٥) ...
وجد من المناسب له كإبن أن يعزي أمه في آلامها . وقد عزاها بثلاثة
أمور : بالحديث معها ، وبالغناية بها وتدير أمورها ، وبمنحها ابناً
روحياً يؤنس وحدتها ..

وحديث الرب مع أمه على الصليب ، يختلف عن حديثه مع اللص
اليمين . اللص هو الذي بدأ الكلام ، والرب رد عليه . أما مع القديسة
مريم ، فالرب هو الذي بدأ الكلام ... إنها أمه . لا ينتظر حتى تكلمه
فيرد عليها . ولا ينتظر حتى تشكو إليه فينظر في شكواها ... وهي لن
تشكو . فقد تعودت العذراء أن تصمت . حتى إلى جوار الصليب ،
لم يقل أحد أنها كانت تصرخ أو تندب ، إنما كانت رصينة ورزينة
في ألمها ، وصامته . وكان الرب يفهم صمتها ويسمعه ، ويعرف دواخل
قلوبها ومشاعرها . فكلما دون أن تطلب . وأطاعت كلامه ، وذهبت
مع التلميذ الحبيب إلى بيته ...

وكانت العذراء بركة ليوحنا ، وبركة لبيته ، منحه المسيح اياها ،
مكافأة له على حبه ... أخذها التلميذ كجوهرة ثمينة أغلى من العالم
كله ... وظلت في بيته وديعة غالية حتى تنيحت ... ويقال أن يوحنا
الرسول لم يرحل أورشليم إلا بعد نياحة العذراء ... إن كان يوحنا قد
وصل في حبه أنه تبع المسيح إلى الصليب ، وظل واقفاً إلى جواره ،
فيجب أن ينال مكافأة على ذلك ، هنا وفي الأبدية ... أما هنا ، فقد
نال بركة العذراء وإقامتها في بيته ... إن كل الذين يتبعون المسيح ،
لا بد أن يأخذوا منه شيئاً ... لا بد أن يغترفوا من بركاته ومن نعمه .

والعذراء أخذت يوحنا لها ابناً . أعطاه الرب أكثر تلاميذه حبا

وعاطفة ورقة وتعلقا واخلاصا ... يوحنا الحبيب أكثر من تكلم من
الرسول عن المحبة ... هو الذي قال إن « الله محبة » (١ يو ٤ : ١٦) ،
هو التلميذ الذي كان « يتكىء في حضن يسوع » ، وكان « يسوع يحبه » .
إنه أكثر إنسان يقدم للعذراء صورة لبنا ...

كان يبدو أن المسيح على الصليب لا يملك شيئاً . حتى ملابسه ،
أخذوها واقتسموها فيما بينهم . ولكنه كان يملك يوحنا ، فأعطاه لأمه .
يوحنا الذي وهب قلبه للمسيح ، فأخذ المسيح هذا القلب ، ووهبه
لأمه ... وهكذا جمع الرب محبيه معاً ... واهتم بأمه عاطفياً ، كما اهتم
بها مادياً ...

تري من الذى كان يهتم بالآخر : العذراء ام يوحنا ... كانت العذراء
فى بيت يوحنا ، لا لتأكل منه ، وإنما لتأله بركة ونعمة ... ولكى
تمنحه أيضاً معرفة بالمسيح ، أعمق من كل ما يعرفونه ، وأوسع ...

نلاحظ أن كون المسيح يمهّد بأمه الى تلميذه يوحنا ، يعمل
دلالة أكيدة على أن السيدة العذراء لم يكن لها أبناء آخرون
بعد المسيح كما يدعى البروتستانت . لأنه لو كان لها أبناء ، لكانوا
أولى برعايتها وبنوال بركاتها من
أى شخص غريب ... لقد كانت
العذراء وحيدة فى ذلك الوقت :
ليس لها أبناء ، ويوسف النجار
قد تنيح منذ زمن . فمهّد بها
المسيح الى تلميذه ...



وعبارة « هذا هو ابنك »
تعطينا فكرة عن البتوة الروحية
كما توضع لنا كرامة العذراء
بالنسبة الى آبائنا الرسل
أنفسهم ...

الطامة الرابعة

إلهي إلهي لماذا تركتني (متى ٢٦: ٤٦)

هذه العبارة لا تعنى أن لا هوته قد ترك ناسوته ، ولا أن الأب قد ترك الابن ... لا تعنى الانفصال ، وإنما تعنى أن الأب قد تركه للعذاب أن لا هوته لم يترك ناسوته لحظة واحدة ولا طريقة عين .. بهذا تؤمن ، وبهذا نصلى فى القداس الإلهي .. ولو كان لا هوته قد انفصل عنه ، ما اعتبرت كفارته غير محدودة ، تعطى فداءً غير محدود ، يكفى لغفران جميع الخطايا لجميع البشر فى جميع الأجيال ... إذن فلم يحدث ترك بين لا هوته وناسوته .

ومن جهة علاقته بالأب ، فلم يتركه الأب ، « لأنه فى الأب ، والأب فيه ، يو ١٤ : ١١ » .

اذن ما معنى عبارة « لماذا تركتني » ؟

ليس معناها الانفصال ، وإنما معناها : تركتني للعذاب . تركتني اتحمل الغضب الإلهي على الخطية . هذا من جهة النفس . أما من جهة الجسد ، فقد تركتني أحس العذاب وأشعر به . كان ممكناً ألا يشعر بآلم ، بقوة اللاهوت ... ولو حدث ذلك لكانت عملية الصلب صورية ولم تتم الآلام فعلاً ، وبالتالي لم يدفع ثمن الخطية ، ولم يتم الفداء ..

ولكن الآب ترك الابن يتألم ، والابن قبل هذا الترك وتعذب به .
وهو من أجل هذا جاء .. كان تركا باتفاق .. من أجل محبته للبشر ،
ومن أجل وفاء العدل .. تركه يتألم ويذلل ، ويدفع ، دون أن يفصل
عنه ... لم يكن تركا أقنوميا ، بل تركا تديرىا .. تركه بحب ، و سر أن
يسحقه بالحزن ، (أش ٥٣ : ١٠) .

مثال لتقريب المعنى :

لنفرض أن طفلا اصطحبه أبوه لاجراء عملية جراحية له ، كفتح
دمل مثلا أو خراج . وأمسكه أبوه بيديه ، وبدأ الطبيب بعمل عمله ،
والطفل يصرخ مستغيثا بأبيه ، له سبقتى ، . وهو فى الواقع لم يتركه ،
بل هو عسك به بشدة ، ولكنه قد تركه للام ، وتركه فى حب ... هذا
نوع من الترك ، مع عدم الانفصال .. نقوله لمجرد تقريب المعنى ،
والقياس مع الفارق ...

ان عبارة « تركتنى » ، تعنى ان آلام الصليب ، كانت آلاما حقيقية .
وآلام الغضب الإلهى كانت مبرحة .. فى هذا الترك تركت كل آلام
الصليب ، وكل آلام الفداء .. هنا يقف المسيح كذبيحة محرقة ،
وكذبيحة اثم تشتعل فيه النار الإخية حتى تتحول الذبيحة إلى رماد ،
وتوفى عدل الله كاملا ..

كثير من المفسرين يرون ان الرب بقوله « الهى الهى لماذا تركتنى »
انما كان يذكر اليهود بالزمور الثانى والعشرين الذى يبدأ بهذه العبارة .

كانوا د يضلون إذ لا يعرفون الكتب ، (متى ٢٢ : ٢٩) بينما كانت هذه الكتب د هي التي تشهد له ، (يو ٥ : ٣٩) فأحاطهم السيد المسيح إلى هذا المزمور بالذات . وكانوا لا يعرفون المزامير بأرقامها الحالية ، وإنما يسمون المزمور بأول عبارة فيه ، كما يفعل الرهبان في أيامنا . . .

وماذا في هذا المزمور عنه ؟

فيه د ثقبوا يدي وقدي ، واحصوا كل عظامي ... وهم ينظرون ويتفرسون في . يسمعون ثيابي بينهم ، وعلى قبصي يقرعون ، (ع ١٧٤ ، ١٨) وواضح أن داود النبي الذي قال هذا المزمور ، لم يثقب أحد يديه ولا قدميه . ولم يقسم الناس ثيابه ، ولم يقرعوا على قبصه ... إنما هذا المزمور ، قد قيل بروح النبوة على المسيح ... وكأن المسيح على الصليب يقول لهم : أذهبوا واقرءوا مزمور د الهى الهى لماذا تركتني ، وانظروا ما قيل فيه عني ... ترون أنه قيل فيه عني أيضاً :

د عار عند البشر ، ومحتقر الشعب . كل الذين يروني يستهزئون بي يفغرون الشفاء وينفضون الرأس قائلين : اتكل على الرب فلينجيه ، لينقذه لأنه سر به ، (ع ٦ - ٨) ...

ويعوزنا الوقت أن نحصا كل المزمور ... أنه صورة واضحة لآلام المسيح على الصليب . وجههم إليه . د وقع ذهنهم ليفهموا الكتب ، (لو ٢٤ : ٤٥) .

كل نص المزمور بدأ يتحقق ، لذلك قال بعد حين « قد اكمل » .
ولكن لماذا لم يقل « قد أكمل » مباشرة بعد إلهي إلهي لماذا تركتني ؟
لأن هناك عبارة أخرى في المزمور لم تكمل بعد وهي عبارة ديبست مثل
شقيقة قوتي ، ولصق لساني بحنكي ، (ع ١٥) . إن هذه أيضاً ستتحقق
بعد حين عندما يقول « أنا عطشان » . لذلك قال بعدها « قد أكمل » ..

ولكن لماذا قال المسيح « إلهي ، إلهي » ؟

لقد قالها بصفته نائباً عن البشرية . قالها لأنه « أدخل ذاته ، وأخذ
شكل العبد ، صائراً شبه الناس ، وقد وجد في الهيئة كالإنسان ،
(في ٢ : ٧ ، ٨) . قالها لأنه « وضع نفسه ، و « أطاع حتى الموت ،
موت الصليب ، (في ٢ : ٩) أنه يتكلم الآن كابن للإنسان ، أخذ
طبيعة الإنسان ، وأخذ موضعه ، ووقف نائباً عن الإنسان وبديلاً
أمام الله ، كابن للبشر ، وضعت عليه كل خطايا البشر ، وهو الآن
يدفع ديونهم جميعاً ...

هنا نرى البشرية كلها تتكلم على فمه ... وإذا وضعت عليه
كل خطايا البشر ، والخطية انفصال عن الله ، وموضع غضب الله ،
لذلك تصرخ البشرية على فمه « إلهي إلهي ، لماذا تركتني ...

**لقد ناب السيد المسيح عن البشرية في أشياء كثيرة ، أن لم يكن
في كل الأشياء .**

ناب عنا في الصوم : لم يستطع آدم وحواء أن يصوما عن الثمرة
المحرمة ، وقطعنا وأكلا ، وبدأ السيد حياته بالصوم حتى عن الطعام المحلل .

لم يكن في حاجة إلى الصوم ، ولكنه « صام عنا أربعين ليلة ، كما تقول
تساويح الكنيسة :

وناب عنا في طاعة الناموس : « الرب من السماء أشرف على
بنى البشر ، لينظر هل من قام طالب الله . الجميع زاغوا وفسدوا .
ليس من يعمل صلاحاً ، ليس ولا واحد ، (مز ١٤ : ٢ ، ٣) .
وجاء المسيح ، قذاب عن البشر في طاعة الآب . ونفذ الناموس لكي
« يكمل كل بر ، (متى ٣ : ١٥) كما ذكر وقت العباد ... وهكذا ناب
عن البشرية في تقديم حياة طاهرة مقبولة أمام الله الآب ...

وناب عنا ايضا في الموت وفي العذاب وفي دفع ثمن الخطية : « والذي بلا
خطية ، صار خطية لأجلنا ، (٢ كو ٥ : ٢١) . واحتمل كل لعنة
الناموس . . واحتمل كل غضب الله على الخطاة بكل ما فيه من مرارة .
وكناثب عن البشرية قال : « إلهي إلهي لماذا تركتني ، ...

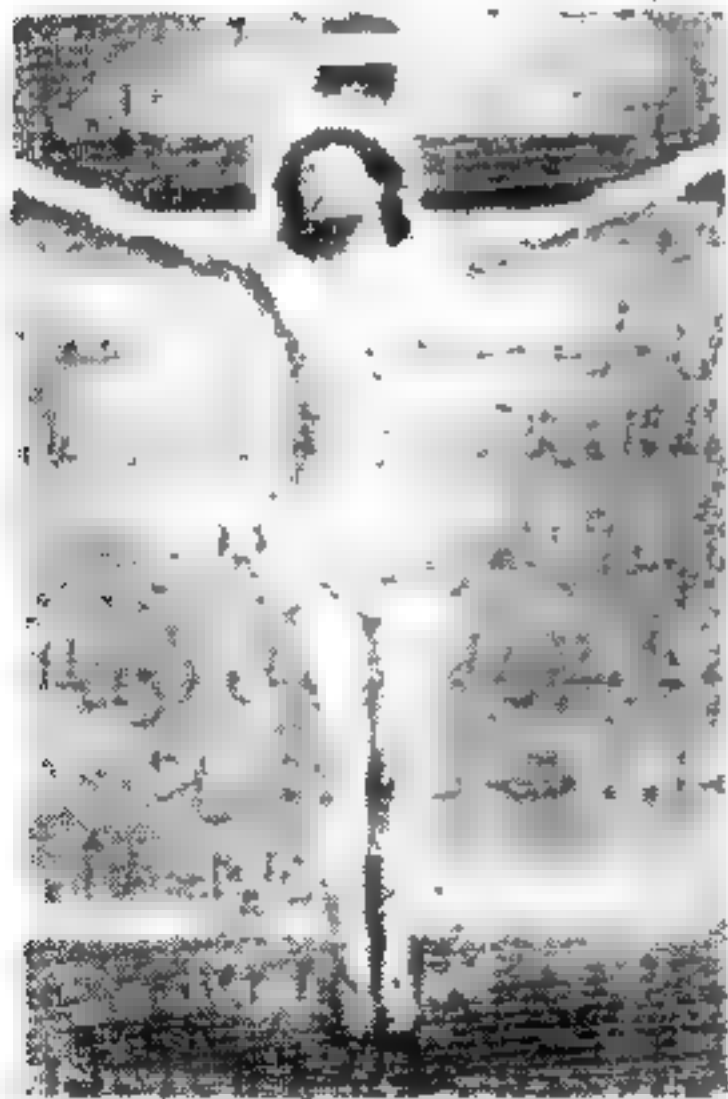
وهذا الذي أعان الكل ولم يترك أحدا ، تركه الكل حتى الآب . . .
وبهذا دفع ثمن الخطية ، وتحمل الغضب ، وخرج متمجراً ، بعد أن جاز
معصرة الألم وحده ، نفساً وجسداً ..

وفي هذا كله أعطانا درساً . لكي نحترس نحن .

ان كانت الخطية تسبب كل هذا الترك ، وكل هذا التخل ، وكل
هذا الألم . فلنسلك نحن بتدقيق (اف ٥ : ١٥) ولنخف أن نترك
الرب لئلا يتركنا . فإن الإبن نفسه قد ترك . وألم الترك لا يطاق . وفي
كل ذلك فلنشكر ربنا يسوع المسيح ونسبحه على كل هذا الحب وهذا
البذل . . .

ان عبارة « لماذا تركتني » ، تعطينا الكثير من العزاء كلما نقع في الضيقات ... إن كان الله الآب ، لم يشفق على ابنه ، (رو ٨ : ٢٢)
 وصله لهذا العذاب والحزن ، فلماذا تتذمر نحن على الآلام التي يسمح بها
 الآب ؟ .. إن كان الآب قد مر أن يسحق بالحزن ابنه الوحيد الحبيب
 الذي قال عنه : « هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت » ، (متى ٣ : ١٧) .
 ومع ذلك فنحن لم نتعرض لشيء من كل آلام المسيح على الرغم من
 استحقاقنا لكل ألم ، فلماذا إذن تتذمر على الضيقات ؟ .

إن الابن شرب الكأس التي قدمها
 له الآب ، وقال له « لتكون مشيئتك » .
 وأطاع حتى الموت ، موت الصليب ،
 بكل خضوع . أما عبارة « لماذا
 تركتني » ، فلم تكن نوعاً من الاحتجاج
 أو الشكوى - كما قلنا - إنما كانت مجرد
 تسجيل لآلامه ، وإثبات حقيقتها ،
 وإعلاناً بأن عمل الفداء سائر في طريق
 النمام ...



لماذا تركتني ... ؟

الطمة الخامسة

أَنَا عَطْشَانٌ (برمنا ١٩: ٢٨)

من أجل خطايي — أيها الأخ — ومن أجل خطاياك ، جف
حلق الرب على الصليب ، و د لصبق لسانه بحنكه ، و د يبت مثل شقفة
قوته ، (مز ٢٢ : ١٥) ...

مياه جسده قد تصفت ونزفت ، وذلك لأسباب كثيرة :
بعضها لأجل العرق الكثير الذي سال منه كقطرات دم ، وهو يجاهد
لأجلنا في في بستان جثسياني (لو ٢٢ : ٤٤) . والعرق الذي سال منه في
الطريق وهو يحمل الصليب ، وطوال المدة تحت أشعة الشمس المحرقة في
نصف النهار .. وبخاصة من أجل التعب والإرهاق والإرهاك الذي تعرض
له في كثرة المحاكات وكثرة اللطمات .

يضاف إلى كل هذا الدم الكثير الذي نزف منه ، بسبب الجلد
المريع ، وبسبب اكليل الشوك ، وبسبب المسامير ..
لكل ذلك جف حلقه ، واحتمل حتى لم تبق في جسده قوة ، فقال
« أنا عطشان ، ... »

**وبهذا أعلن أن الطرق أخذ سبيله إلى الحديد المحمي بالنار ، أو
أعلن أن النار بدأت تلتهم ذبيحته المحرقة ... أو أعلن أن العدل الإلهي
يتقاضى أجره ، وأن اللاهوت - كعده - لم يتدخل لتخفيف الألم عن**

لناسوت ، فكان الماء كاملاً ، تنم منه الآب رائحه لرضا ، وعبر عنه
الابن بعبارة « أنا عطشان » ... فليخر الآن أوطيخا الذى قلل من حقيقة
ناسوت الرب . فلو لم يكن ناسوته كاملاً ، ما قال « أنا عطشان » ...

عجيب أن يعطش الينبوع ، الذى يهب الماء الحى لجميع العطاش
(يو ٧ : ٣٧) . الذى قال للمرأة السامرية « من يشرب من الماء الذى
أعطيه أنا ، فلن يعطش الى الأبد . بل الماء الذى أعطيه ، يصير فيه
ينبوع ماء ينبع الى حياة أبدية » (يو ٤ : ١٤) .

ماذا كان يقصد بعبارة « أنا عطشان » ؟

لا شك أنه كان عطشانا فعلا من الناحية الجسدية . ومن الناحية
الروحية كان عطشانا أيضاً هذا الخلاص الذى يقدمه بهاء ، كان عطشانا
لعبارة وقد أكمل ، التى سيقولها بعد .. مثلاً قال للمرأة السامرية « اعطينى
لاشرب » ولم يكن يقصد هذا الماء المادى « الذى كل من يشرب منه
يعطش أيضاً » (يو ٤ : ٧ ، ١٣) ، والذى لم يأخذه منها . وإنما كان
عطشانا إليها هى وإلى أهل السامرة ، إلى خلاصها وخلاصهم .

ولم يقل « أنا عطشان » لى يأخذ من الناس ماء . كان يعرف
أنهم سيقدمون له خلاصاً (متى ٢٧ : ٤٤ ، ٤٦) . كان يعرف ذلك
بلاهوته الذى ينكشف أمامه قريب والمستقبل . وكان يعرف ذلك من
حيث معرفته بالنبوة التى تقول « وفى عطشى يسقونى خلاصاً » (مز ٦٩ : ٢١) .
لم يقل « أنا عطشان » ليطلب منهم ماءً ، فانه لا يمكن أن يلتصق
معوثة من البشر . وأيضاً لأنه كان عازماً أن يشرب كأس الالم حتى

التمام . لذلك اعتنى عندما قدموا له خلا من زوجا بالمر ، كنوع من التخدير لتخفيف ألمه . و لم يرد أن يشرب ، (متى ٢٧ : ٣٤) .

انما اراد الرب ان يتم النبوءات عنه، وان يعلن ان الثمن قد دفع، لكي يخلص البشر...

أما البشرية الخاطئة فاستهزأت به فيما هو يدفع ثمن خلاصها . فقدموا له خلا في عطشه ، لكي يزيلوا ألمه الماء . أترانا نحن نفعل ذلك أيضاً ، وكلما يطلب الرب أن يرتوى بخلاصنا ، ويشرب من نتاج كرمته التي يسرى عصيرها في عروقنا . أترانا نقدم له خلا بأفعالنا لردية وبلهونا وعبتنا وأعمالنا ؟

يا أخى اخفض تلك القصة التي ترفعها الى فم المسيح ، وابتعد عن شفتيه تلك الاسفنجية المملوءة خلا . واندم على جرحك لمشاعر من أحبك واعمل أعمالا تليق بالتوبة .



وإذا سمعت الرب يقول : أنا عطشان ، فقل له : أنا يا رب الذي جففت حلقك بخطاياي . ليتني أستطيع أن أرويكَ بدموعي . ليتك تضرب بعصاك هذه الدخلة الصلبة — التي هي قلبي — وتفجر منها ماءً يرويكَ ...

أنا عطشان

الكلمة السادسة

فَدِّ اكْمِلْ (يوحنا ١٩ : ٣٠)

المسيح إلهنا البار ، الكامل في كل شيء ، القدوس الذى بلا خطية وحده ، الذى عاش على الأرض حياة كاملة استطاع أن يرضى بها الله الأب ، هو أيضاً كان كاملاً في كرازته وفي خدمته . استطاع أن يكمل رسالته التى أعطاه الآب إياها ، ويصبح صيحة النصر الأولى .

« العمل الذى أعطيتنى لأعمل ، قد أكملته » . (يو ١٧ : ٤)

لقد استطاع أن يكمل كل بر . كمل بر الناموس كله ، وصاح أمام الناس « من منكم يكتفى على خطية » ، (يو ٨ : ٤٦) . كما كمل أيضاً جميع النبوءات الخاصة به والخاصة بعمل الفداء العظيم ... فى سنوات قليلة ، حوالى ثلاث سنوات وبضعة شهور ، استطاع أن يعمل أعمالاً لم يعملها أحد من قبل ، واستطاع أن يكرز ببشارة الملكوت ويقول للآب « أنا مجدتك على الأرض ... أنا أظهرت اسمك للناس الذين أعطيتنى من العالم .. الكلام الذى أعطيتنى قد أعطيتهم .. الذين حفظتهم ، ولم يهلك منهم أحد ... عرفتهم اسمك ، وسأعرفهم » . (يو ١٧) .

وهكذا أكمل النبوءات ، وأكمل الطاعة وأكمل كل بر ، وأكمل عمله الكرازى ، وأكمل الحب إذ أحب خاصته الذين فى العالم ، أحبهم حتى الموتى ، (يو ١٣ : ١) . ثم صعد على الصليب ليكمل عمل

البذل ، ويكمل الفداء والكفارة والخلاص ... ويكمل عمل المصالحة
الذى به يصلح السائين مع الأرضيين ...

وفوق هذا المذبح ، وضع الله عليه اثم جميعنا ... وضع الله عليه
جميع الخطايا ، لجميع الناس ، فى جميع الاجيال ، من آدم الى آخر
الدهور ، بكل ما فيها من بشاعة ومن دنس ومن خيانة ومن ضعف ...
بكل ما فيها من زنا وفجور وكذب وسرقة وقتل وحسد وكبرياء ...
حتى صاح الابن قائلا : قد اكمل ، ... ونحن نضع أيدينا على هذه
الذبيحة الطاهرة ، ونعترف كل يوم بخطايا جديدة ، نضيفها الى آلامه
لكى يحوها بدمه الكريم ...

وكما كملت الخطايا على كنفه ، كمل ايضا العار الواقع عليه ...
وهكذا قال فى ذلك : بذلت طهرى للضاربين ، وخدى للناتقين . وجهى
لم استره عن خذى البصاق ، (أش ٥٠ : ٦) . وقال ايضا : كل الذين
يروثنى يستهزئون بى . عار عند البشر ومحتقر الشعب ، (مز ٦٧ : ٦) .
فى كل هذا تمرض بالضرب والإهانة والجلد والاستهزاء ، وكل صنوف
التحقير والتهم ، وكلمات التجديف والتعير وكانوا يلطمونه قائلين تنبأ
لنا أيها المسيح من لطمك ، (متى ٢٦ : ٦٧ ، ٦٨) !! وألبسوه الثوب
الأرجوانى وأكليل الشوك ، وصلبوه بين لصين ليحققوا فيه قول
الكتاب : ملعون كل من علق على خشبة ، (غل ٣ : ١٣)
(تث ٢١ : ٢٣) ... وهكذا صار لعنة لأجلنا ، وفوق الخشبة

أيضاً أشبعوه إهانات وسياً ، حتى لينظر إلى كل هذا العار ويقول :
قد أكمل ...

وكما كمل عاره كملت آلامه بالجسد ، وكمل الغضب الواقع عليه .
دفع الثمن كله ، وقدم نفسه فدية ، وظلت النار تشتعل في ذبيحة المحرقة
حتى حولتها إلى رماد (لا ٦ : ١٠) . ولما رأى السيد الرب أنه قد
أكمل عمل الكفارة والفداء ، وأنه أعطى العدل الإلهي كل ما يطلب
ولم يعد له شيء بعد ، صاح في نصرته قائلاً : قد أكمل ، ...

قد أكمل عمل الخلاص للجميع ، وتم الفداء ، واستطاع نيل
المرأة أن يسحق راس الحية . . استطاع الله وقد ملك على حشبة ،
(مز ٩٦ : ١٠) أن يدمر مملكة الشيطان . الآن أصبحت الكفارة
كامنة كافية للجميع . الآن يذيق حجاب الهيكل ، ويفتح الطريق أمام
قدس الأقداس ... لقد كمل الصلح ، وكمل الرجاء أمام القديسين
الراقيدين . ولم يبق إلا أن يقوم الرب كجبار ، يتقلد سيفه على نخذه ،
ويسننه وينجح ويملك (مز ٤٥ : ٣) . لذلك صاح الرب في فرح
« قد أكمل ، ... »

ان عبارة « قد اكمل » هي هتاف الفرح والانتصار . هتاف به
الرب الذي صارع وملك . استطاع أن يشترينا بثمر ، ويؤسس
ملكوته الروحي ، ويحطم مملكة الشيطان الذي كان يدعى من قبل
« رئيس هذا العالم » (يو ١٤ : ٣٠) .

هل تستطيع يا أخى أن تنجح مثل الرب ؟ هل تستطيع أن تصعد
على الصليب ، وتسحق رأس الحية ؟ هل تستطيع أن تنظر إلى عملك
الذى أعطاك الرب إياه وتقول « قد أكمل » . لبتك تضع أمامك كل
حين هذا الشعار الجميل « العمل الذى أعطيتنى لأعمل قد أكملته » ...
ضع أمامك باستمرار صورة الرب الذى أكمل عمله .



قد أكمل

الكلمة السابعة

يَا أَبَتَاهُ فِي يَدَيْكَ أَسْتَوْدِعُ رُوحِي (لوقا ٢٣: ٤٦)

لقد أكمل الرب عمله على الصليب .

كما أكمل عمله الذي كان له قبل الصليب .

وبقى له عمل آخر ليعمله بعد أن يسلم الروح على الصليب .

أن « يسى سببا ، ويعطي الناس عطايا » (أف ٤ : ٨) . بقي أن ينزل إلى الجحيم ويبشر الراقدين على الرجاء . وينقل هؤلاء القديسين الراقدين من الجحيم إلى الفردوس ، فأتاحت أبواب الفردوس المغلقة منذ أيام الخطية الأولى ...

لذلك إذا تم الفداء ، لم يعد هناك داع للتأخير . عليه إذن أن يخرج من هذا الجسد ليكمل عمل الخلاص الخاص بالراقدين أيضاً . ويسلم الروح إذن في يدي الآب حتى يمكنه أن يعمل الأعمال التي موعده عملها بعد الموت ، وهكذا صرخ بصوت عظيم « يَا أَبَتَاهُ فِي يَدَيْكَ أَسْتَوْدِعُ رُوحِي » ...

في يدك أنت استودعها ، وليس في يدي غيرك ... « رئيس هذا العالم يأتى ، وليس له في شيء » (يو ١٤ : ٣٠) أن من عند الآب

خرجت ، وأتيت إلى العالم ، وأيضاً تركت العالم ورجعت إلى الآب ،
(يوحنا ١٦ : ٢٨) .

كم اشتاق رئيس هذا العالم أن يحصل على هذه النفس ، أن يقبض
عليها كسائر الأرواح التي في السجن . ولكنه لن يقدر على هذه النفس
بأنفسه التي سيستقلها الآب في يديه . نفسى هذه لا يستطيع أحد أن
يأخذها منى . لى سلطان أن أضنها . لى سلطان أن يأخذها أيضاً
(يوحنا ١٠ : ١٧ ، ١٨) .

أن روح لعازر المسكين - عندما خرجت من جسده - حملتها الملائكة
(لوقا ١٦ : ٢٢) . وروح العذراء حملها المسيح أما روح المسيح فيحملها
الله الآب .

يقول معنا متى الرسول أن المسيح « صرخ بصوت عظيم
(متى ٢٧ : ٥٠) وأسم الروح . فإذا تفهم من عبارة « صرخ بصوت
عظيم » .

لا شك أنه من الناحية الجسدية كان في منتهى الانهاك والارهاق .
بعد كل تعب في حمل الصليب حتى وقع تحتة ، وبعد تعب الحلد والاعطاش
والصلب ، وبعد أن سأل ما في جسده من دم وماء ، وبعد أن جف
حنقه حتى قال « أنا عطشان » . كيف يصرخ بصوت عظيم وقت لصق
لسانه بخنكه ١٩

أن صراخه في ساعة الموت « بصوت عظيم » دليل على أن له
قوة أخرى فوق قوة الناسوت ، أى دليل على لاهوته .

صراخه بصوت عظيم دليل على انتصاره ، لانه بالموت داس الموت وقهره . هذه المرخة زعزت الشيطان وقهرته .

حقاً كان في موت المسيح نصرة ، نصرة الفادى الذى استطاع أن يخلص العالم كله ، ويسحق رأس الحية ...

وفى عبارة " فى يدك استودع روحى " ، طمأنينة عظيمة لنا من جهة خلود الروح . لأنها لا تنتهى بالموت ... الموت بالنسبة لها مجرد عبور أو انتقال من حياة إلى حياة . انما المهم فى الموضوع كله هو : أين تستقر الروح بعد موتها . إن اطمأن الانسان على هذه النقطة ، استقبل الموت بفرح ، وقال : لى اشتاء أن اطلق ...

وانت ايها الاخ : هل انت مطمئن على مصير روحك ؟ هل عندما تلفظها — بعد عمر طويل — ستودعها فى يدى المسيح ، أو ستحملها الملائكة مثل روح لعازر ؟ أم سيقبض عليها الشيطان ويقول " إنها لى . كانت من جندى ، تعيش فى طاعى ... لذلك سأخذها لتكون معى ، يا للهول !! اطمئن يا أخى إذن أين ستذهب روحك .

وضع أمامك باستمرار تلك الاغنية الجميلة " تمت نفسى موت الأبرار ، ولكن آخرتى كآخرتهم " (عدد ٢٣ : ١٠) .

استودعها فى يديه من الآن بالبعد عن كل دنس ، وبالتصاق كل حين بالرب . كن كملائكة الكنائس السبع الذين كان الرب ممسكاً بهم فى يده اليمنى . ضع نفسك أنت أيضاً فى يدى المسيح . وتأكد أنه

سيسمعك صوته الجليل وهو يغني « أنا أعطيتها حياة أبدية ، ولن تهلك
إلى الأبد ، ولا يخطفها أحد من يدي » . (يو ١٠ : ٢٨ ، ٢٩) .

وكلما تحاربك الخطية بفكر أو شهوة ، أسأل نفسك في صراحة :
هل روحي الآن في يدي الأب ...



يا أبنا في يديك أستودع روحي

فاعلية هذه الكلمات

هذه الكلمات الغالية التي قالها المسيح على الصليب : فلنضعها نحن في قلوبنا ، ولتكن ذات فاعلية في حياتنا .. لنقرأ كل كلمة منها في إمعان ، ورتفاع معها . . .

وسنضرب الآن مثالا لتفاعل القلب مع كلمتين منها :

• يا أبتاه اغفر لهم . . .

لقد علمنا الرب أن نقول في الصلاة الربية : اغفر لنا خطايانا ، كما تغفر نحن أيضاً لمن أخطأ إلينا . فأصبحت عبارة : يا أبتاه اغفر لهم ، شرطاً لازماً للمغفرة ، لك أنت .

فلا يظن أحد منكم أنه يمنح المغفرة لغيره عندما يقول « يا أبتاه اغفر لهم » . في الواقع أنه يأخذ المغفرة لنفسه . لأن شرط الغفران الذي تأخذه أنت ، هو أن تغفر لغيرك . « اغفروا يغفر لكم » (لوقا ٦: ٣٧) . إن السيد المسيح عندما علمنا الصلاة الربية ، لم يعلق على أية طلبية منها سوى هذه الطلبية الواحدة ، وهكذا قال : فإنه إن غفرتم للناس

زلاتهم، يغفر لكم أيضاً أبوكم السماوى . وإن لم تغفروا للناس زلاتهم ،
لا يغفر لكم أبوكم أيضاً زلاتكم ، (متى ٦ : ١٤ ، ١٥) .

لذلك فإن لم تغفر أنت للآخرين ، إنما تمنع المغفرة عن نفسك ،
وليس عن الآخرين .

فإن قلت : يا أبتاه أغفر لهم ، ، يرد عليك قائلاً : وأنا أيضاً
أغفر لك ، . إذن فغفرتك للناس أمر أنت مضطر إليه ، لكى تنال
المغفرة أنت أيضاً ... فالأفضل إذن أن تغفر من أجل المحبة - كما
فعل المسيح - بدلاً من أن تغفر اضطراراً من أجل أن يغفر لك ...

من الجائز أن هذه المغفرة تتعبك من الداخل ، ولا تكون سهلة
على قلبك ... كيف أغفر لمن فعل بى كذا وكذا ، وأهانى وأتعبنى
وألصق نغسى بالتراب ؟ أقول لك : احتمل ... أنت فى الواقع فيما
تعطى لهذا الإنسان المغفرة ، إنما تعطىها أيضاً لنفسك . فأغفر ، لكى
يغفر الرب لك . وأقول مرة أخرى : ليتك تغفر عن حب ، وليس
عن اضطرار .

السيد المسيح على الصليب تقدم لياخذ مغفرة من الآب عن كل
خطايا البشر ، فغفر لصاليه أولاً .

وكأنه يقول للآب : سأغفر لهم كل ما فعلوه بى ، لكى تغفر أنت
لى ، ... ليس لكى يغفر له خطاياهم ، فالمسيح بلا خطية (يوحنا ٨ : ٤٦) .
ولكن يغفر له الخطايا التى يحملها ، لأنه : حمل الله الذى يحمل خطايا

العالم كله ، (يو ١ : ٢٩) ، إذ قد وضع عليه إثم جميعنا ،
(أش ٥٣ : ٦) .

قد نقول : كيف اغفر كل ما فعلوه بي ... يكفي اننى صامت
لا أورد الشر بالشر ...
لا يا أخى ... أن هذا الصمت لا يكفي . يجب أن تنتصر على
نفسك من الداخل ، وتغفر .

وعندما تنتصر على نفسك من الداخل ، وتغفر ، تكون قد صعدت
على الصليب .

وعندما تصعد على الصليب . تستطيع أن تقول : لأعرفه وقوة
قيامته وشركة آلامه ، (في ٣ : ١٠) . لقد دخلت في شركة آلامه ،
صعدت معه على الصليب وغفرت للسيئين لأنهم لا يدرون ماذا يفعلون .

اليوم تكون معى فى الفردوس :

قل لنفسك : لىكى اسمع هذا الوعد من المسيح ، ينبغى ان اقول
كما قال اللص « نحن بعدل جوزينا » ...

إن اللص اليمين لم يعتف من الآلام التى وقعت عليه ، إنما طلب
مغفرة فى الأبدية . فكن مثله ، ولا تكن مثل اللص الذى طلب أن
ينزل المسيح من على الصليب وينزله معه ويخاص نفسه وإيانا ، ...

مسكين هذا الجاهل ، إن فى نزول المسيح عن الصليب هلاكاً للعالم

أجمع . لو كان هذا اللص يسمى لخلاص نفسه ، لقال : انتظر يا رب
قليلا على الصليب ، من أجل ، لكي لا أهلك ... أرجوك يا رب ،
احتمل من أجل ، احتمل حتى الموت لتدفع ثمن خطايي ...

كن يا أخى روحانيا كاللص اليمين الذى فكر فى أبديته ، ولا تكن
جسدانيا كاللص الشمال الذى فكر فى خلاص جسده فقط ..

ولا تهرب من الضيق التى تقع عليك ، بل فى كل ضيقة قل عبارة
اللص التائب : نحن بعدل جوزينا ، ..

وكما تطلب من الرب أن يذكرك فى ملكوته : اذكره أنت أيضا
على الأرض ، والصق قلبك بحبته ...

ولا تطلب أن يذكرك الرب فقط على الأرض بل فى ملكوته .
أن كان فى الأرض مسامير أو صليب ، لا يهم . المهم هو مصيرك فى
الملكوت .

لا يهم أن نقضى حياتنا الأرضية هنا على الصليب ... إذا المهم أن نكون
مع الرب فى الفردوسه ...

لا تفكر أن تنزل من على صليبك ، بل احتمل واصبر .

لقد قال الرب للص : اليوم تكون معى فى الفردوس ، ، لأنه قبل
إيمانه واعترافه وتوبته .

وأنت ، هل قدمت للرب اعترافا وتوبة وإيمانا ، حتى تستحق أن
تكون معه فى الفردوس ؟

إن لم تكن قد فعلت ، فابدأ من الآن ...

اشترك في الآلام معه ، لكي تتمجد أيضاً معه .

وتذكر أن عبارة « اليوم تكون معي في الفردوس » هي عبارة مشجعة جداً ، تمنع اليأس ، وتهب الرجاء .

إن كان اللص قد نال الوعد بالفردوس ، على الرغم من كل شروره وخطاياها ، فلا تيأس أنت مهما كانت خطاياك .

وإن كانت توبة اللص قد قبلت ، وهو في آخر ساعات حياته ، فلا تيأس أنت إن كانت حياتك السابقة كلها قد أكلها الجراد وضاعت هباءاً .

عبارة « اليوم تكون معي في الفردوس » تعطينا أيضاً مثالا عمليا لسرعة استجابة الصلوات .

حالمًا قال اللص « أذكرني يارب » ، أتاه الرد سريعاً « اليوم تكون معي في الفردوس » ... إذن لا تمل من الصلاة والطلب ، ولا تبرح من فمك عبارة « أذكرني يارب » ... ، ... قلها في كل حين ، ومن أعماق قلبك ، وبإيمان . وثق أنه سيستجيب .

لا تترك العدو يعاربك بالتحجّل ، حتى لا تطلب . إن العشار في عمق خجله ، قال « ارحمني يارب » . واللص وهو عارف بخطيئته ، قال « أذكرني يارب » ..

هكذا نحن أيضاً ، مع أن الحزى يغطي وجوهنا بسبب خطايانا ، ومع أنه ليس لنا وجهه نرفعه إلى الرب ، وليست لنا دالة ولا حجة

ولا معذرة ، إلا أننا من أجل خناهُ هو ومحبتِهِ وغفرانِهِ ، سنظل نقول
عبارة « أذكرني يا رب » ، إلى أن تنال منه الوعد بالفردوس ...

إن الرب لم يكتفِ فقط بأن يعطى اللص وعداً بالفردوس ، وإنما
بالأكثر إعطاه وعداً أن يكون معه . لأن أهم ما في الفردوس أن نكون
مع الرب ...

نعم ، إن الفردوس بدون الرب لا قيمة له ، ولا نعيم فيه ،
ولا يصح أن يدعى فردوساً ... إن النعيم الحقيقي هو أن نكون مع
الرب ... يكون الرب وسط شعبه . يتمتعون به ، يحبه ، وبصحبه ،
وبنوره ... وبأبوته ، وخناهُ ...

لذلك لا تطلب الفردوس ، بل اطلب الرب نفسه ...
أطلب أن تكون معه ، تتأمل وجهه المفرح البشوش ، كما قال
داود : « لوجهك يا رب التمس . لا تحجب وجهك عني ، ... »
والعجيب في قصة هذا اللص ، أنه أخذ وعداً بالوجود مع الله في
الفردوس ، على الرغم من أنه لم يعيش مع الله على الأرض ...

بل مجرد ساعات قليلة قضاهَا مع الرب حسناً ، استطاعت أن تمنحه
صعبة الرب إلى الأبد . لأنها كانت ساعات ذات عمق ، عمق شديد ،
وصل به إلى أعماق قلب الله ...

ليس المهم إذن في طول الوقت الذي تقضيه مع الرب ، بل في
عمقه . كلمة واحدة بعمق تقدر كثيراً في فعلها ... قل هذه الكلمة ...
وعش في عمق الصلة ، لتصل إلى أعماق الله ...



مطبعة الأنباروليس ت ١٩٠٦٨١

التمن ٨

